

كلمة البروفسور سليم دكّاش اليسوعيّ، رئيس جامعة القديس يوسف في بيروت، لمناسبة تكريم الدكتور جورج سعاده والأستاذ في معهد الآداب الشرقيّة، في جامعة القديس يوسف في بيروت، في ١٢ نيسان ٢٠١٩، في قاعة المحاضرات Salle polyvalente.

باسم الجامعة اليسوعيّة أرحّب بكم أجمل ترحيب في هذه الأمسية الأدبيّة الفكريّة المميّزة حول أستاذ هو من خيرة الأساتذة والذي أضاف على الأستاذة قيمة هامّة لها وقعها في القلب والعقل معًا. إنّه الدكتور جورج سعاده ابن دير دوريت ابن الجبل.

نلتقي اليوم في حرّم جامعة القديس يوسف في بيروت لتكريم كاتب وكتاب. فالكاتب كان طالبًا في هذه الجامعة فتخرّج منها بشهادة دكتوراه في اللّغة العربيّة وآدابها، وصار أستاذًا محاضرًا فيها، ولا يزال يُخرّج طلابًا في الدراسات العليا.

والكتاب الصادر اليوم "بين الريف والعلومة" هو، بالإضافة إلى كونه ديوان شعريّ، يرسم خريطة لوطن، فيرصد ما كان، ويصف التحوّلات الاجتماعيّة التي تمتدّ لأكثر من قرن، فيسجّل أنماط الحياة التي طبعت قُرانا والأرياف، من عادات وتقاليده شكّلت تراثًا مميّزًا في الوطن، وتركت بصمات تتوارثها الأجيال.

لقد جال الدكتور سعاده في كتابه كما يجول المزارع بين الحقول والبيادر، وكما يحبو الانسان من الطفولة إلى الشيخوخة، فرسمها في لوحة متعدّدة الصور والمشاهد، يستهلّها بالمدرسة البدائيّة، ويحطّ رحالها في صخب العلومة ويمضي بها جميعًا على شريط يتحرّك بالكلمة البكر، والعبارات المنمّقة، والفكرة البسيطة في أدائها، والعميقة في دلالاتها، فهو ينقل ريفًا ومدينة إلى كتاب، ويسجّل أحداثًا على الصفحات البيض ليحميها من غدر الزمان وآفة النسيان.

الدكتور جورج سعاده فردٌ من جيل صنع الطبقة الوسطى المساهمة في صناعة الوطن بالكرامة، جيل قرن الفقر، وواجه الصعوبات بالصلابة، وتلقّى الحراب بيدٍ، فما استسلمت الأنامل لجراحها....

جيل نام على طمأنينة أقلقها العام ألف وتسعمائة وخمسة وسبعين، حين أطلّت الأحداث بسُم أفاع، وأنياب ذئاب، فقتلت وهدّمت، وهدّت أركان المجتمع، واقتلعت الإنسان من جذوره في المكان، ومن تراثه في الزمان، فكان من ثمارها المرّة خراب الوطن، وسقوط القيم، وتفكّك الأسر بين تهجير وهجرة.

ولكنّ الإنسان المعاند في لبنان، يقف أمام الأرز رمزًا، والصخر ثباتًا، والقمم شموخًا ليمائلها، فينهض ... وسينهض.

والدكتور جورج سعادته من الصامدين في هذا الوطن، صموداً يرتكز على طهارة القلب، ونظافة اليد، ودفء اللسان على قدر ما تستوجب الحقيقة، فلم يعرف الراحة يوماً، ولم تقلق الإغراءات راحة ضميره، له يد تعمل، ويد تكتب، وفكر يسعى إلى أهداف وطنية سامية.

وكما تنمو الشجرة المتجذرة بين العواصف والصواعق، نما فأنتج عشرين مؤلفاً في النقد والشعر والقصة والرواية والمقالة، وإلى جانبها كد في التعليم لخمسين سنة بلا انقطاع.

وللصدفة، يحتفل اليوم بكتابين، كما يحتفل بيوبيله الخمسيني عطاء مدرسياً، وحضوراً جامعياً مميّزاً، وتوجّهاً وطنياً لا غبار على صفائه.

ونحن في جامعة القديس يوسف في بيروت نفخر به، وبأمثاله ممن يضيئون الفناديل في الظلمة، ويغرسون الورود بين الأشواك، ويبذرون الحنطة في التربة الخصبة كيلا يلتهمها الشرير الوافد من الداخل والخارج، فيتحدون بذلك البلاءات الثلاثة، وافدة من البر والبحر ومن الكذب.

وللمناسبة، إذ نهى الدكتور سعادته على نتاجيه وعلى الخمسين من عطائه، نكرّر أنّ جامعة القديس يوسف في بيروت بإدارتها وأساتذتها وطلابها وموظفيها ستستمر آخذة على عاتقها أن تبقى صرحاً وطنياً، بنهجها ومتخريجيها الراسمين الطريق، مع سائر المخلصين، لوطن أفضل، في أهداف تكالها المثل العليا والمبادئ السامية بعيداً من طمع الطامعين، ووقاحة المارقين. فالمعول الذي يزرع ليس المعول الذي يهدم، واليد التي تعطي ليست اليد التي تأخذ.

بوركت الأيادي التي تبذر حنطة الكلمة في حقول الناس، ليطفح الخير على بيادر الوطن.

بوركت سنواتك اللاحقة دكتور جورج فتكون سنوات فيها الكثير من الثمار، كما كانت سنواتك الخمسون مباركة ومليئة بالميّز من حبات القمح والجيد من نتاج الفكر الوقاد.

عشتم أيها الزميل العزيز وكنتم ذخراً لهذا الوطن العزيز، القوي برأسماله الثقافي والفكري، لبنان.